فنونُ المديحِ النبويِّ في شِعرِ مَالك بن المرحَّل الأندلسيِّ

إعداد

الدكتور إبراهيم حسين أبو سريع إسماعيل

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد

قسم اللغة العربية – كلية العلوم الإدارية والإنسانية

جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

الملخص:

تعدُّ فنون المديح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي، وقد نظم الشعراء فيها قصائد لا تعد ولا تحصى؛ حيث عبر الشعراء -منذ بزوغ الإسلام حتى الآن- عن عواطفهم الجياشة تجاه الرسول الكريم، ودافعوا بشعرهم عنه وعن رسالته. ومن هؤلاء الشعراء مالك بن المرحل الذي اتَّسم بالتديّن الشديد والحب العظيم للرسول الكريم، ولا غرو في ذلك فلا يؤمن المسلم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وبناءً على ذلك فقد عُني مالك بن المرحل بالمديح النبوي، واستطاع أن يستوعب كل الفنون والأشكال الشعرية التي تفتَّقت عنها القصيدة النبوية من: حجازيات، ونعاليات، وقصائد مولدية كان يغتنم لإنشادها احتفالات المولد النبوي الكريم في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام. وقد جاء هذا البحث مستخدمًا المنهج التكاملي ومتناولًا فنون المديح النبوي من خلال خمسة محاور على النحو الآتي: التعريف بمالك بن المرحل، وفن المولديات، وفن النعاليات، وفن الحجازيات، وسمات لغة الشعر النبوي عند مالك بن المرحل.

الكلمات المفتاحية: مالك بن المرحل – المديح النبوي – فن الحجازيات – القصائد النبوية.

ABSTRACT :

The Arts of praising the Prophet Mohammad is one of the most important topics of Arabic poetry, andpoets versified countless poems on these arts.Poets, since the dawn of Islam, expressed their simmering emotions towards the Holy Prophet, and defended him and his message by poetry. One of these poets was Malik ibnAlmurahal, who was characterized by intense religiosity and great love for the Prophet Muhammad, as it is not surprising that no Muslim is considered a true believer until Allah and His Messenger are dearer to him than all else, and therefore Malik ibnAlmurahalpraised the Prophet, and he was able to accommodate all the arts and forms came up with praising the Prophet such as: Hijaziat, Naaliat and Mouledpoems.Hetook every chance of the Holy Prophet's Birthday celebrations, on the twelfth ofRabeethe second each year, to chant on the occasion.

This research, adopting the integrated methodology, deals with the Arts came to praise the Prophet through five main topics as follows:

Key words: Malik ibn Almurahal, Praising poetry

المقدمة

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والشكر والثناء الحسن على توفيقه ومنّه وعطائه وإحسانه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فممدوح مالك بن المرحل في نتاجه الأدبي هو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، الذي هو المثل الأعلى والنموذج الأرقى للبشرية في كل شيء؛ ففيه المطلق من كل الصفات، ومنه العظيم من كل الأقوال والأفعال؛ اجتماعيًّا: هو الأمين، الوفي، الصادق، الصبور، المتسامح، وسياسيًّا: هو المنظر والقائد والقاضي الفيصل، ودينيًّا: هو المبشِّر، الشفيع المشفَّع.

وبقدر عِظم هذه الشخصية الفريدة وسعة ما تتمتع به من صفات ومحامد، بقدر ما يقف شاعرنا المادح أمامها حائرًا مضطربًا، لا يدري: من أين يبدأ؟ ولا ماذا يقول؟ على حد قوله في بعض النصوص المدحية، وهي الحيرة نفسها التي تنتابُ الباحث مهما كانت أدوات الدرس التي يتسلح بها، ومهما أحسّ من نفسه القدرة على التصدي والمواجهة، فلابد أن يجتاحه الشعور بالرهبة والخشية والإشفاق الذي يكاد يثنيه عن عزمه.

وإذا كانت فنون المديح النبوي في شعر مالك بن المرحَّل قد كُتبَ لها الانتشار والذيوع في المشرق والأندلس والمغرب وفي جميع الأوساط الاجتماعية، فما ذلك إلا لأنها تمسُّ أوتار القلوب، وتعكس شعور الأمة التي قيل فيها، هذا بالإضافة إلى أن شعر ابن المرحل متميز في بابه، فهو وإن كان مدحًا فإنه ليس كسائر المدائح الأخرى؛ لأنه سجلٌ حافل بالمآثر والمفاخر التي يدرك الجميع أنها من مآثره ومفاخره صلى الله عليه وسلم.

ولعل الانتشار الواسع وتنوع فنون المديح النبوي في شعر مالك ابن المرحَّل وفي شعر معاصريه من شعراء الأندلس والمغرب عائد إلى سببين رأسيين:

السبب الأول: يقوم به الوازع الديني المطبوع في شخصية الشاعر نفسه من محبة عارمة للرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– والتغني بنعوته وآثاره، وإظهار التقصير والندم.

السبب الثاني: ويمثله البعد المكاني لشعراء المغرب والأندلس عن الحرمين الشريفين، الأمر الذي أشعل الشوق وعمَّق الرغبة في الوصول إليهما، ذلك أنهم أناس عزائمهم في الركوب إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قوية متينة، وعواطفهم نحوه رقيقة جياشة، وآهات الشوق وبكاء البعد تقطع الأكباد بمجرد سماع ذكره صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت الحياة الأدبية بالمغرب والأندلس على عصر ابن المرحَّل مليئة بالحركة الثقافية والنشاط الفكري، حيث لاقى الشعراء تشجيعًا كبيرًا من الملوك والأمراء الذين كانوا ينظمون الشعر ويتذوقونه ويفتحون له مجالسهم. والناظر في مؤلفات ذلك العصر كـ: الإحاطة والنفاضة والكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ونثير فرائد الجمان لابن الأحمر، والعبر لابن خلدون، يأخذ صورة واضحة عما كان يزخر به هذا العصر من الشعراء الذين تجاذبتهم دول المغرب والأندلس المتعددة المتناحرة الملأى بالفتن والصراعات التي أدَّت إلى هجرة الكثير منهم، الأمر الذي ترك بدوره آثاره المتعددة على الحياة الدينية والفكرية بصفة عامة، وعلى الشعراء بصفة خاصة، وعلى فن المديح النبوي الذي عليه مدار حديثنا بصفة أخصّ.

وقد اخترنا لتبيان هذه الآثار شاعرًا كبيرًا من شعراء الأندلس والمغرب هو مالك ابن المرحَّل الذي استطاع أن يستوعب جل الفنون والأشكال الشعرية التي تفتَّقت عنها قصيدة المديح النبوي؛ إذ نجده ينظم قصائد كانت تُنشدُ في ذكرى المولد النبوي وهو ما عرف بـ(**فن المولديات**)، ونظم قصائد أخرى تشوَّق فيها إلى مقامه الكريم –صلى الله عليه وسلم– وهو ما سُمي بـ(**فن الحجازيات**)، ونظم قصائد أخرى يتبرَّك فيها بنعل

الرسول –صلى الله عليه وسلم– وآثاره الكريمة وهو ما أطلق عليه (**فن النعاليات**).

وقد اتصلت هذه القصائد ببعضها اتصالاً وثيقًا، وكان الغرض الرئيسي فيها هو مدح النبي –صلى الله عليه وسلم– ولكنها اختلفت في بعض المحاور، وهذا ما دعانا إلى دراسة كل فن من هذه الفنون على حدة؛ وذلك لمعرفة مدى الاتفاق والاختلاف بين هذه الفنون، هذا بالإضافة إلى الوقوف على السمات البارزة لكل فن منها.

أما المنهج المتبع في هذا البحث، فهو **المنهج التكاملي** الذي تتداخل فيه المناهج البحثية المختلفة والمناسبة لمقامتها في الدراسة: كالمنهج التحليلي الذي نوظفه في دراسة النصوص وتحليلها وذكر مضامينها، وكالمنهج التاريخي الذي نستخدمه في بعض التراجم والتواريخ، فسأقدم النصوص –بإذن الله تعالى– ثم أحاول النفاذ إلى ما تشتمل عليه من موضوعات وأفكار مع تحليلها ومقارنتها بغيرها إن أمكن.

وبالنسبة لخطة البحث؛ فقد اشتملت على خمسة محاور، سبقتها مقدمة، وتلتها خاتمة أودَعتُها أبرز النتائج التي اهتديتُ إليها، ثم ذيلت البحث بثبت يشتمل على أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

مشكلة البحث:

جاءت هذه الدراسة (فنونُ المديحِ النبويِّ في شِعرِ مَالك بن المرحَّل الأندلسيِّ)؛ لتعالج بعض المشكلات المتمثلة في التساؤلات الآتية:

– هل استطاع مالك بن المرحل أن يجاري شعراء المشرق والمغرب في أشعارهم التي مدحوا بها النبي صلى الله عليه وسلم؟

– ما هي أهم الفنون التي أكثر منها ابن المرحل في مديحه للنبي صلى الله عليه وسلم؟

– هل سيطرت المشاعر الدينية على كل أشعاره في الجناب النبوي أم على بعضها؟

– ما هي العوامل التي أظهرت مالك بن المرحل وأذاعت صيته، وجعلته يتفوق على شعراء عصره؟

– هل تأثر مالك بن المرحل –في شعره– بالأحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها؟

– هل جمع مالك بن المرحل في شعره بين الرديء والجيد؟

– أهداف البحث:

جاء هذا البحث لتحقيق عدة أهداف منها:

– **بيان** تأثر مالك بن المرحل –في شعره– بالأحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها، وتتبُّع ما له من شعر في كل فن من فنون المديح النبوي، والوقوف عند دلالته، واستخلاص سماته، والكشف عن منابعه.

– بيان مظاهر التطور في شعر مالك بن المرحل في المديح النبوي، وإثبات مجاراته وتفوقه على بعض شعراء المغرب والأندلس.

– الوقوف على الجيد والرديء في شعر ابن المرحل، وبيان أوجه التفاعل بينه وبين وشعراء عصره.

– الوقوف على العوامل التي أظهرت مالك بن المرحل وأذاعت صيته، وبيان ملامح اللغة الشعرية في نتاجه الأدبي.

– الوقوف عند فن المولديات والحجازيات والنعاليات في شعر مالك بن المرحل بالدرس والتحليل الموضوعي والأسلوبي.

– حدود البحث:

ومن أجل تحقيق الأهداف السابقة، حاولت أن أحدد الموضوع زمنيًّا ومكانيًّا:

أ – تحديد الموضوع زمنيًّا ومكانيًّا:

فمن ناحية التحديد الزمني، فقد وجدت أن مالك بن المرحل قد عاش في الفترة ما بين ٦٠٤هـ – ٦٩٩هـ؛ وهي فترة من الفترات التي حمل فيها ملوك عصره على عاتقهم راية الدفاع عن الإسلام في الأندلس، ومؤازرة المسلمين ضد النصارى الإسبان

الذين كانوا يعملون بكل جهدهم على إزالة الوجود الإسلامي من أهم الحواضر الأندلسية.

وبالنسبة للمكان: فقد تنقَّل مالك بن المرحل بين المدن الأندلسية والمغربية في تلك الفترة المحددة سابقًا.

أما الحدود الموضوعية: فقد وقفت الدراسة عند قضية المديح النبوي على المستوى الموضوعي والفني في شعر مالك بن المرحل.

أسئلة البحث:

جاءت الدراسة لتجيب على عدة أسئلة، منها:

ما هي أهم الفنون التي أكثر منها ابن المرحل في مديحه للنبي صلى الله عليه وسلم؟

ما المآخذ التي أخذها بعض النقاد على شعر المديح النبوي عند مالك بن المرحل؟

هل سيطرت المشاعر الدينية على كل أشعاره في الجناب النبوي أم على بعضها ؟

ما هي العوامل التي أظهرت مالك بن المرحل وأذاعت صيته، وجعلته يتفوق على شعراء عصره؟

هل تأثر مالك بن المرحل -في شعره- بالأحداث السياسية والاجتماعية التي عاصرها؟

هل جمع مالك بن المرحل في شعره بين الرديء والجيد؟

أهمية البحث:

ظهرت في الأعوام السابقة دراسات أفردها أصحابها لشعراء المغرب والأندلس، فكان للسان الدين بن الخطيب وابن خفاجة نصيبُهما، كما كان لعبد العزيز الملزوزي وعبد المهيمن الحضرمي حظهما، و لم ينل شعر مالك بن المرحل من عناية الباحثين إلا قدرًا قليلًا، وهذا مما يؤسف له حقًّا؛ لأن عدم الاهتمام به يؤدي إلى بَتْرِ الوَشَائجِ بين الأجيال الحاضرة

وتراثها الأدبي والفكري والثقافي العظيم، وترتب على ذلك فراغ المكتبة الأدبية الأندلسية والمغربية من دراسة علمية تتناول شعر مالك بن المرحل في المديح النبوي، وتَرْصُد ملامح الحركة الشعرية في نتاجه الأدبي، وما تمخَّض عنها مِن إبداعات ظلَّت حتى هذا الزمن المتأخر تحمل روح الشعر الرفيع وأصالة الشاعر المتمكن، ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث.

أدوات البحث وإجراءاته:

أما عن الأدوات والإجراءات التي سنستخدمها في هذا البحث فإنها تتمثل في:

جمع النصوص الشعرية التي تتناول موضوع المديح النبوي في شعر مالك بن المرحل.

البحث في كتب التراجم والأعلام.

تصنيف النصوص الشعرية، ووضع كل نص ضمن الفن أو الغرض الذي ينتمي إليه، كـ : فن المولديات – الحجازيات – النعاليات، وغيرها.

متابعة ما صدر عن دور النشر التي تهتم بنشر التراث الأندلسي والمغربي.

الدراسات السابقة:

١ – (النبوغ المغربي في الأدب العربي)، درس الأستاذ "كنون" الأدب المغربي والأندلسي؛ فقدم صورة عن الوضع السياسي والثقافي، ثم أورد نصوصًا لبعض الشعراء في الجزء الثالث من الكتاب دون أن يتعرض لتحليلها، أو لدراستها.

٢ – (الأدب المغربي)، تأليف الدكتور محمد بن تاويت، ومحمد الصادق عفيفي، خصَّص المؤلفان الفصل الرابع من الكتاب لدراسة الحياة العامة، ثم انتقلا بعد ذلك إلى سرد مجموعة من النصوص الشعرية لبعض مشاهير الشعراء منهم مالك بن المرحل، قانعين بتعقيبات تثبت عقب بعض تلك النصوص.

٣ – (الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع)، للدكتور إسماعيل الخطيب: لَمَّا نشأ في سبتة عدد من الأعلام، كان على الباحث –وهو يَدْرُس الحياة العلمية في سبتة– أن

يخصَّ موضوع الشعر السبتي بمبحث خاص؛ ولذا وَجَدْنَاه يفرد شعر شعراء سبتة بمبحث درس فيه اعتناء ولاة سبتة بالشعراء، وذكر طائفة من الشعراء منهم مالك بن المرحل.

٤ – (المولد النبوي الشريف في الأدب المغربي)، للدكتور عباس الجراري، والبحث دراسة في أثر المولد النبوي في الأدب المغربي في جميع عصوره ؛ نال مالك بن المرحل منه بضعة أسطر، ذكر فيها الباحث بعض الآثار الأدبية التي نتجت عن هذا الحدث العظيم، منها: (الدُّرُّ المنظم في مولد النبي المُعَّظم) للعزفيَّين: أبي العباس وابنه أبي القاسم، و (نوادر النظام) لابن داود السلاوي.

ومن الإنصاف القول: إن هذه الأبحاث على اختلاف مستوياتها مهدت السبيل ووفرت بعض المواد لدراسة هذا الموضوع –الذي نحن بصدده– دراسة شاملة تحدد مضامينه، وتجمع شتاته، وتسبر أغواره، وتكشف عن موضوعاته وفنونه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

أولا: التعريف بمالك بن المرحَّل:

أ – ترجمته:

هو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن فرج بن أزرق بن منير بن سالم بن فرج، ابن المرحَّل، المصمودي نسبًا، المخزومي ولاءً، المالقي مولدًا، السَّبتي بلدًا الفاسي مدفنًا[١]، ولد صاحبنا بمالقة في ١٧ محرم عام ٦٤هـ[٢]، وكانت وفاته –رحمه الله– في ٢٧ رجب سنة ٦٩٩هـ بمدينة فاس[٣].

ب: عصره:

كان عصر الدولة المرينية –التي ولد الشاعر في زمانها وعاش في ربوعها وأكنافها واتصل بكثير من رجالها– من أزهي عصور المغرب والأندلس الثقافية وأوفرها علمًا ورقيًّا، وتذكر المصادر: أن مالك بن المرحل كان يكتب الرسائل للأمير عبد الواحد بن أمير المؤمنين يعقوب المريني[٤]، كما ذكرت أنه كان من شعراء السلطان يوسف بن يعقوب المريني، وكان يجري عليه المرتبات والإحسان.

وكانت مدينة سبتة التي قضى الشاعر فيها معظم فترات حياته، من أهم المراكز الثقافية في المغرب والأندلس، وذلك بما توافر فيها من مكتبات وخزانات، وبما كانت تزخر به من علماء وفقهاء وأدباء وشعراء، ويكفيها شرفًا ورفعة أنها احتضنت بين ربوعها الكثير من الأعلام، كالعالم والأديب أبى الفضل القاضي عياض وغيره من الكتّاب والشعراء الذين تفتَّق نبوغهم بين ربوعها.

---

(١) ساق نسبه هكذا العالم الجليل عبد الله كنون في العدد الثامن من موسوعته ذكريات مشاهير المغرب والمعنون ب "مالك بن المرحَّل"، وهو كذلك في **سلوة الأنفاس للكتاني** ٣/ ٩٩، ونفح الطيب ٢/ ٥٥١.

(٢) ابن تاويت، محمد بن تاويت، **الأدب المغربي**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٦٠م، ص٢٢.

(٣) راجع: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب** ص١٣٠٨، **المكناسي، جذوة الاقتباس** ١/ ٣٢٧، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية ص١٤، وسلوة الأنفاس ٣/ ٧١، ابن الخطيب: **الإحاطة** ١/ ٣٢٨، ٣/ ٣٠٣.

(٤) ابن أبي زرع الفاسي: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، الرباط، طبع دار المنصور، ١٩٧٢م، ص١٥.

فلا عجب إذن أن يتأثر صاحبنا ابن المرحَّل بهذه البيئة التي ترعرع فيها، ولا غرابة أن ينشأ نشأة إسلامية متينة، خصوصًا إذا علمنا أن مذهب الإمام مالك كان هو المذهب السائد في زمانه وبمدينة سبتة على الخصوص.

ج: شيوخه وتلامذته:

من البديهي أن يكون لصاحبنا شيوخ أو أساتذة بالمفهوم المتداول اليوم؛ حيث كانت لهؤلاء اليد الطولى في توجيهه الأدبي، وفي تكوينه وثقافته العلمية والفنية، وقد اختلف شيوخه باختلاف المدن والأماكن التي نزل بها، أما مالقة فقد أخذ شاعرنا عن كثير من الفقهاء والمؤدبين كأبي جعفر بن على الأنصاري[1]، وأبي النعيم رضوان بن خالد وهو أحد شعراء عصره المشهورين، وابن صالح المالقي الأديب النحوي المشهور.

أما في إشبيلية: فقد التقى بأبي الحسن بن الدباغ[2]، وأبي القاسم بن بقي الفقيه والمحدث؛ حيث أجاز له[3] بالإضافة إلى أبي على الشلوبين الذي أخذ عنه وهو الإمام النحوي المشهور بالأندلس[4].

أما عن شيوخه بالمغرب فهم: أبو زيد البرنوصي وعبدالرحيم بن محمد اليزناسي العالم الصالح الفاضل التقي، أحد العلماء الذين لهم الفضل الكبير في تكون ابن المرحَّل العلمي والفقهي، وغيرهم كثُر.

ومن تلامذته: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، الذي روى عن شاعرنا ورحل

(١) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله السلماني، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية ١٩٧٣م، ج ٣/ ٣٠٥.

(٢) المصدر السابق، ج ٣/ ٣٠٥.

(٣) ابن سعيد، أبو الحسن على بن سعيد، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة دار المعارف، ط٣، ١٩٧٧م، ص٣٢.

(٤) الكتاني، محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس**، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط١، سنة ٢٠٠٤، ص٩٩.

إليه، فتصدى للإقراء وإسماع الحديث وتعليم العربية وتدريس الفقه، وكان من أهل التجويد والإتقان، عارفًا بالقراءات، وقد انتقل إلى سبتة للاتصال بصاحبنا لما سمع عن علمه الواسع الغزير.

ويضيف المترجمون لتلامذته أبا حيان النحوي الأندلس، يقول المقَّري: "ومن كتب عنه من مشاهير الأدباء أبو الحكم مالك بن المرحَّل"[(١)]، ومن تلامذته أيضًا أبو عبد الله بن عبد الملك المراكشي صاحب كتاب " الذيل والتكملة ".

هؤلاء بعض شيوخ ابن المرحَّل وتلامذته، أسماء لامعة ونخبة من فحول عصره وغيرهم كثير.

د: مؤلفاته:

إذا كانت حسنات الرجال والأعلام تتفاوت بمقدار ما تركوا من آثار-وبما خلَّفوه من أعمال خالدة جليلة؛ فإن رجال الفكر الذين نذورا أنفسهم للكلمة، يكونون من العظماء الذين خلفوا للتاريخ تراثًا فكريًا ضخما، صوروا فيه تجاربهم وأبحاثهم، وسجلوا فيه خلجات نفوسهم ونبضات قلوبهم، فنالوا بذلك المكانة المرموقة والذكر الطيب.

وصاحبنا من هؤلاء الذين عكفوا على التدوين والتحبير؛ فقد كانت مساهمته الفعالة ومشاركته المتميزة في ميدان الثقافة عاملاً على إنهاض حركتها بمؤلفاته المتنوعة التي انقسمت إلى قسمين:

أما القسم الأول: فيضم "الجوالات"[(٢)] و"الصدور والمطالع"، و"الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة"[(٣)]، "والمعشرات النبوية"[(١)]، و"ديوان الدوبيت"[(٢)]،

(١) المقري، أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:**، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، طبع دار صادر، سنة ١٩٦٨م، ٣/ ٣٠٥.

(٢) حققه الدكتور محمد مسعود جبران، نشر دار المدار الإسلامي.

(٣) وهي قصائد في الزهد ومدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقد ذكرها البغدادي باسم " القصائد العشرينيات المحمديات". =

والقصيدة المسماة " باللؤلؤ والمرجان ".

وبالنسبة للقسم الثاني: فقد جعله ابن المرحَّل نظما في النحو واللغة وغيرهما:

وهذا القسم يضم: "أرجوزة في نظم غريب القرآن لابن عزيز"، و"نظم اختصار إصلاح المنطق لابن العربي"، و"التبيين والتيسير لكتاب التبصير"، وهي قصيدة طويلة عارض بها الشاطبية وزنًا وقافيةً، و"والواضحة " وهي قصيدة في الفرائض، و"نظم الفصيح لثعلب" سمَّاها "الموطأة"، وأرجوزة في العروض وأخرى في النحو، وكتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصى، و"القصيدة الوترية في مدح خير البرية".

هذه المؤلفات وغيرها هي التي أظهرت مالك بن المرحَّل وأذاعت صيته، يقول الأستاذ عبد الله كنون: "نشأ ابن المرحَّل خامل الذكر، خفي المنزلة، فأظهره أدبه وشعره"(٣) ويقول عنه المقَّري: "اشتهر نظمه وذاع شعره، فكلفت به ألسنة الخاصة والعامة، وصار رأس مال المستمعين والمغنين، وهجير الصادرين والواردين"(٤).

وهكذا كانت حياة ابن المرحَّل خمسًا وتسعين سنة، كان له فيها -كسائر أدباء عصره- اطلاع واسع على مختلف العلوم الموجودة في وقته، وخاصة علو اللغة والنحو.

كانت هذه نظرة عامة على حياة مالك بن المرحَّل، الفقيه والأديب والشاعر كما صورتها المصادر التي ترجمت له، وكما كشف لنا عن بعض خفاياها شيوخه وتلامذته وآثاره. أما ابن المرحَّل صاحب فنون المديح النبوي فهو ما سنراه في المحاور التالية.

=

انظر: البغدادي، إسماعيل باشا البغدادي، **إيضاح المكنون**، نشر دار إحياء التراث العربي ج ٢/ ٧٠٧.

(١) قصائد نبوية رتبها ابن المرحَّل على حروف المعجم، وذكرها الأستاذ عبد الله كنون في النبوغ المغربي في الأدب العربي.

(٢) حققه وقدم له الأستاذ هلال ناجي.

(٣) كنون، الأستاذ عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢ سنة ١٩٦١م، ج ٣/ ٨٠٩.

(٤) المقري، **نفح الطيب**، ج ٢/ ٥٥١.

ثانيا: فن المولديات:

ارتبطت بداية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في المغرب والأندلس بشخصية الأمير أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسين، الشهير بابن أبي عزفة اللخمي[(١)]، وكان أميرًا على مدينة سبتة التي كانت دائما -بموقعها على مضيق جبل طارق- حلقة الوصل الثقافية بين المغرب والأندلس، ويرجع احتفاله بالمولد النبوي إلى كتاب بدأ تأليفه بعنوان: "الدر المنظم"، ثم أكمله ابنه وتلميذه أبو القاسم محمد بعنوان: "الدر المنظم في مولد النبي المعظم"[(٢)].

ويذكر العزفي في مقدمة كتابه "الدّر المنظم" أنه لاحظ أن أهل الأندلس والمغرب عامة كانوا يشاركون مساكنيهم وجيرانهم من المسيحيين أعيادهم ويحتفون بها احتفاءً عظيمًا، فدفعه ذلك إلى أن يفكّر فيما يشغل الناس عن هذه البدع، ويقضي على هذه المنكرات ولو بأمر مكروه؛ فألف كتاب (الدّر المنظّم)، ساعيًّا بذلك إلى هدفين؛ **الأول:** هو قطع عادة مسلمي الأندلس والمغرب عن الاحتفال بالأعياد المسيحية، ولاسيما عيد ميلاد السيد المسيح عيسى -عليه السلام-، والثاني: هو الاستبدال بهذا العيد عيد المولد النبوي (صلى الله عليه وسلم)[(٣)].

وهكذا كان بداية الاحتفال بميلاد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) في المغرب والأندلس لأجل مقاومة تفشّي التقليد الديني للمسيحيين.

وقد كان بديهيا أن يتبنى ملوك العصر الذي عاش فيه ابن المرحَّل عمل المولد النبوي، لما في ذلك من امتلاك للنفوس وتقوية لأسباب قيامهم ومجارة للطابع الشعبي لسياستهم؛

(١) ترجمته هو وولده، وبعض أخبارهما في: المقري، **أزهار الرياض** ٢/ ٣٧٤، وانظر أيضا: كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ٦/ ٢٥٥.

(٢) المنوني، محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء،، ط٢ سنة ١٩٦٩م، ص٥١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٥١٨.

وهكذا احتفل يعقوب بن عبد الحق المريني بليلة الميلاد بمدينة فاس، وفي شهر ربيع الأول من سنة ٦٩١هـ، أمر أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بعمل المولد وتعظيم الاحتفال به في جميع بلاده[١]، فأصبح بذلك عيدًا رسميًّا تنشد فيه المدائح النبوية إما شعرًا أو إما نثرًا[٢]، واكتمل طابع العناية بذكرى مولد سيد البشرية محمد (صلى الله عليه وسلم) على يد السلطان أبي الحسن المريني الذي حرص على إقامته حلًّا وترحالًا وفق رسوم وتقاليد غاية في البهجة والجلال الروحيين، وذلك بحسب ما أفادنا به شاهد العصر ابن مرزوق الخطيب في مسنده[٣].

وقد نتج عن ذلك العديد من القصائد والمقطعات التي حاول الشعراء من خلالها التعبير عن حبهم العميق للذات المحمدية الطاهرة.

وانطلاقًا من نصوص **المولديات** التي بن أيدينا لمالك بين المرحَّل، سنعمد إلى التحليل واستخلاص السمات البارزة لهذا الفن، هذا بالإضافة إلى بيان ما لصاحبنا في هذا الفن أو الغرض الشعري.

يقول ابن المرحَّل واصفًا هذا اليوم: بأنه من أفضل المواسم الجديرة بمزيد من الاعتناء بمدح الرسول وتكريمه، وصلة الأرحام، وطاعة الله عز وجل واتباع سنة نبيِّه (صلى الله عليه وسلم):

فحقّ لنا أن نعتَني بولادة ونجعلَ ذاك اليوم خيرَ المواسِم

(١) الفاسي، علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، مراجعة عبد الوهاب منصور، المغرب، دار المنصور للطباعة،، سنة ١٩٧٣م، ص٣٨٣.

(٢) روجيه لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة نقولا زياده، بيروت سنة ١٩٦٧م، ص٢٠١.

(٣) ابن الخطيب، محمد بن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق د. ماريا خيوسوس بيغيرا، تقديم محمود بو عياد، الجزائر طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سنة ١٩٨١م، ص١٦٨.

وأن نصلَ الأرحامَ فيه تقربًا　　ونغدو له من مفطرينَ وصائم

ونتركَ فيه الشّغل إلا بطاعَة　　وما ليس فيه من ملام للائم

ونتبع فيه الصالحين فإنَّهم　　هدونا بأنوارِ الوجوهِ الوسَائم[(١)]

وفي مولديه أخرى، يقول ابن المرحَّل معتمدًا على التشبيهات الحسنة:

تعطرَّت الدّنيا به فكأنّها　　خَمائلُ حفت بالأقَاحِي وطلَّت

تَلألأَت الآفاقُ وانفرجَت لهم　　كأنَّ القصورَ البيض منهم تدَّلت

تباشر صبْح في مآخِرِ ليلَة　　وإقبال برء في عقابيلِ علَّة[(٢)]

ويقول أيضًا:

لقد كانَ مولدُه رحمَة　　سُقينا بها كلّ وبْل وطل

لقد كان مولدُه رحمة　　أقمنا بها بين نهرٍ وظلّ[(٣)]

وقد دفع حب ابن المرحَّل الشديد للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يصب هذه العاطفة الدينية في عمل مطول أطلق عليه: "**الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة**"، وهو ما سمي بالعشرينيات؛ حيث خصَّ الشاعر فيها كل حرف من حروف الألفبائية المغربية والأندلسية بعشرين بيتًا، وجعلها في السيرة النبوية وشمائل الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- ومناقبه وغزواته وما تحلَّى به -عليه الصلاة والسلام- من الفضائل والمكارم، يقول في مفتتح هذه العشرينيات:

(١) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب**، ص٣٨٣.

(٢) ابن المرحل، مالك بن المرحَّل، **الوسيلة الكبرى**، تحقيق: ربيعة بنويس، الرباط، كلية الآداب، ص١٦١.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إلى المصطفي أهديتُ غرَّ ثنائِي فيا طيب إهدَائي وحسن ثَنَائي

أزاهر روض تُجتنى لعطَارة وأسلاك درٍّ تُصطفي لصَفاء

أكاليلُ من مدحِ النبيِّ محمَّد بها حازَت الآدابُ كلّ بَهَاء

أضفتُ إلى ميلاده غزواته وما عنَّ لي من آية وإياء

أحقُّ البرايا بالثَّناء مضَاعفًا نبيٌّ له في الوحي كلّ ثنَاء

إمام هدى صلى النبيُّون خلفَه وصلى عليه أهلُ كلّ سمَاء

أمينٌ على الوحي الكريمِ وإنَّما هو السرُّ لم يودَع سوى الأُمنَاء

أضاءَت به الدُّنيا فمِن نورِه سَرى إلى الشَّمس والأقمَار كلّ ضياء(١)

ففي الأبيات المتقدمة من مجموع أبياتها العشرين جعل الشاعر القافية "همزة" ملتزمة، والتزم بها أيضًا في فواتح الأبيات كلها بعد ذلك، مرورًا بحرف الباء في دلائله –صلى الله عليه وسلم– قبل الولادة والبشارة ملتزمًا به في القافية والفواتح، يقول:

بنفسي رسولٌ طاهِر المجدِ طيّب تنقَّلَ من صُلب كريم إلى صُلب

بَشيرٌ لمن لبَّى نذيرٌ لمن أبَى سِراج لذي لَحظ دليلٌ لذي لُب

بِشارةُ عيسى حينَ أخبرَ باسمِه وقَالَ ارقَبوا هذا النبيِّ من العرب

بآية ما يأتي بنورٍ وحكمَة ويدعو لوِرد المشرَب العذبِ بالعضْب

بدَا أمرُه للفرس عند ولادة فأصبحَ كسْرى ذا انكسَارٍ من الرّعب(٢)

(١) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، تحقيق د. محمد مسعود جبران، ص٣٨٠.

(٢) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٨١.

في الأبيات السابقة تناول الشاعر بعض أوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكر إمامته للرسل الكرام، وأمانته على الوحي الكريم، وإشراق الدنيا بطلعته وبالنور الذي هدى إليه، وتوجيه أتباعه إلى عظيم حقه عليهم مما يستوجب تقديره وتعظيمه واتباع سنته.

وهكذا يسير الشاعر في بقية العشرينيات الأخرى بحسب حروفها؛ حيث ينظم أبياتها على هذه المعاني الدينية وأمثالها، وقد لاحظ الدكتور عباس الجراري أن ابن المرحَّل -في وسيلته الكبرى- متأثر بأحد معاصريه من أعلام القرن السابع، وهو ابن رشيد البغدادي الذي عاش في المغرب وعرف بوترياته التي كانت عبارة "عن تسع وعشرين قصيدة على عدد حروف المعجم، في كل قصيدة واحد وعشرين بيتًا"(١).

و لم يكن لابن المرحَّل في هذا المجال إلا هذه العشرينيات التي سماها "الوسيلة الكبرى"، وقد مال بعدها إلى شيء من التخفيف في عدد الأبيات، فصنع نوعًا مشابهًا "شاع في الأندلس والمغرب منذ القرن الخامس الهجري"(٢)، وهو ما سمي بالمعشرات.

ثالثًا: فن النعاليات:

ولابن المرحَّل قصائد أخرى قالها في تمثال نعل المصطفي -صلى الله عليه وسلم- تعزيزًا وتقديرًا لهذا الأثر النبوي: يقول في إحدى نعالياته:

بوَصفِ حبيبي طَرَّز الشِّعر ناظِمُه　　ونمنم خَد الطَّرس بالنقَّش راقِمه(٣)

وهذه القصيدة هي التي أثنى عليها المقَّري بقوله الدالّ على تأثره بها: "وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاج للأديب العلامة أبي الحكم مالك بن المرحَّل -

(١) الجراري، د. عباس الجراري، **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه:**، الرباط، مكتبة المعارف، سنة ١٩٧٩م، ص١٥٤- ١٥٥.

(٢) جبران، د. محمد مسعود جبران، **أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي**، ص٢٨٣.

(٣) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٥٣.

رحمه الله تعالى- وهي قوله "ثم أوردها"[1].

وقد امتدح ابن المرحَّل في بداية نعاليته ذات الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأوصافه، ثم خلص بعد ذلك إلى مدح الآثار النبوية الشريفة، ومنها مثال النعل الشريف؛ حيث قال:

وممَّا دَعاني والدَّواعِي كثيرَةٌ إلى الشَّوقِ أنَّ الشَّوقَ ممَّا أُكاتِمُه

مثَال لنعلَي من أحبُّ حديثُه وها أنا في يومي وليلي لاثِمُة

أجرّ على رأسي ووجهي أديمه وألثمه طورًا وطورًا ألازمه

صَبابة مشتَاقٌ ولوعَة هائِم نعم أنا مُشتاقُ الفؤادِ وهائِمُه

أمثله في رجلِ أكرم من مَشى فتبصِره عيني وما أنا حَالِمه

أصكّ به خدّي أحسب رفعه على وجنتي خطوا هناكَ يداومه[2]

ويظل الشاعر يصرّح بما في فؤاده المحب من عشق وولع للحبيب المصطفي -صلى الله عليه وسلم-، فيقول:

فيا دمعُ عيني أنت تمنعُ ناظِري نعيمًا به فارفُق فإنَّك ظالِمُه

ويا حرّ قَلبي أنتَ تحرق باطِني لصوقًا به فاسكن لعلَّك راحِمه

سأجعَله فوقَ الترائبِ عوذِة لقلبي لعلَّ القلبَ يبرد جاحِمه

(١) المقَّري، **أزهار الرياض** ٣٦٢/٣، ٢٦٤.

(٢) المقَّري، **أزهار الرياض**، ٢٦٤/٣، وقد أخذ عليه معاصره صاحب كتاب "**الذيل والتكملة**: القاضي ابن عبد الملك المراكشي بعض المآخذ على هذه القصيدة منها التضمين أو المعاضلة في قوله: "ومما دعاني والدواعي كثيرة ومنها الإيطاء في صورامه في بيتين، وإعادة ضمير نواسمه وهو مذكر على الأرض وهي مؤنثة"، نقلًا عن عبد الله كنون: "**ذكريات مشاهير رجال المغرب**" ص٨٠.

وأربطه فوقَ الشؤون تميمَة　　لجفني لعلّ الجَفن يرقأ سَائمه

ألا بأبي تمثَال نعل محمَّد　　لقد طَاب حاذيه وقدِّس خادِمه

يودُّ هلال الأفقِ لو أنه هوى　　يزاحمنَا في لثمِه ونزَاحِمه

وما ذاكَ إلا أن حبَّ نبينا　　يقوم بأجسامِ الخليقَة لازِمة[1]

وقد جعل ابن المرحَّل في قصيدة أخرى من مثال النعل طيفًا للحبيب، فقال:

ألا بأبي ذاكَ المثال فإنَّه　　خيال حبيب والخَيالُ له قسْط

أرى لثمه مثل التيمّم مجزيًا　　فألثمُه حتى أقول سينغطّ

وما هي إلا لوعَة وصبَابة　　بقلبِي لها قسْط وفي مدمَعي سمْط

قذفتُ الكَرى في الدَّمع والصَّبر في الأسَى　　وهيهات أن يطفى وموقِده الشَّحط

سَيطفأ يوم الحَشْر عندَ لقَائِه　　على الحوضِ بالكأسِ الرويَّة إذا أعطُوا [2]

وقد رأى الدكتور محمد العلمي في هذا المظهر الصادق من التعلق بالآثار النبوية — كما أظهرته هذه القصيدة "تعويضًا عما أحس به الشاعر مما ضاع عليه من فرصه أداء الفريضة وزيارة قبر النبي-صلى الله عليه وسلم-"[3].

ويتمنى صاحبنا في قصيدة أخرى لو أن كل جوارحه قد تحولت إلى شفاه تحسن التقبيل والرشف للنعال النبوية؛ لأن تقبيلها بالشفة وحده لا يطفئ نار الوجد وصبابة التعلق بمن أسرى به ليلاً إلى ربه الأعلى، فيقول:

---

(١) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٤١، والمراكشي، **الذيل والتكملة** ٣٣٥/١، والمقري، **فتح المتعال**، ص٢١٨.

(٣) مجلة دعوة الحق، العدد السابع، سنة١٩٧٤م. ص٥٨.

فؤادِي لا تشكُ البعادَ فهذه نِعالُهم فاستشفينَّ بها تشْفي

فمي قبلْنَهَا مثل نعْل كريمَة بتقبيلِهَا يشفى سقَام من استشفَى

فليتَ يميني والشِّمال ومسمَعِي قلبْنَ شفاهًا تحسِنُ اللَّثمَ والرشْفَا

فأطفئُ بالتقبيلِ والرشفَ جمرةً قد أشعلَها شوق على الهلك بي أشفَى

فأقْسِمُ يا نعلَ الحبيبِ لأنتَ من شَرابِ بطونِ النَّحلِ للمشتكى أشفَى [1]

وقد جعل ابن المرحَّل الناظر إلى المثال يرى روضة غناء يحيى رباها ووهادها القطـــر، ويفوح طيب ريحها عبقًا، ويتم بدرها وتستوي شمسها، فيحرك جمال هذه الروضة لواعج العشق وكوامن الهوى نحو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يقول:

تبدَّت لنا والشَّوقُ يقدَح زنده بقلبٍ شجيٍّ لا وجدَ يشبهُ وجدَه

نعالُ رسولِ اللهِ أشرِف بنعلِ مَن قد اختصَّ بين الرّسل بالسرِّ وحدَه

وإلا تكُن نعل الرسولِ فإنَّها مثال وكم ندٍّ يذكِّره نده

فيا ناظرًا منها حديقًا تعاهدت عهاد الحيا تروى ربَاه ووهده

فلله ما أذكى وأطيبَ نفحه إذا حركت ريح الصَّبابة رنده

وأطلع شوق الحبِّ بدرًا بهاره وشمسًا تروم الغرب في الصيف ورده

على الفورِ قبل فيه تقبيلَ فاخر بمولى أعزَّ الله في الخلقِ عبده

ونزِّه به طرفًا جفا النومُ جفنه ومرِّغ به خدًّا دمُ الجفن خدَّه[2]

(١) المقَّري، أزهار الرياض، ٣/٢٣٥، والمقري، فتح المتعال، ص٢٢٩- ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ٣/٢٤٨- ٢٤٩، والمقري، فتح المتعال، ص١٩٤- ١٩٥.

إنه ليس افتتان الشاعر بجمال الطبيعة أو شغفه بعناصرها البهية، بقدر ما هو تركيز على وصف الحالة النفسية التي تعتري الناظر إلى مثال النعل النبوي مبهورًا مندهشًا بجماله الفتان، فيُقبل عليه مشدودًا يطفيء فيه لوعته وشوقه بالتقبيل تارة وبتنزيه الطرف تارة أخرى.

وعلى شاكلة هذا الإحساس يقول ابن المرحَّل:

زكت شفة قد قبلت نعل سيد　　به عالم الإنسان أجمعه عَزا

زعيم به هنَّا السرور لنا وفي　　مصائبنا العظمى المصاب به عزَّى

زهوٌ سناه ظلمة الشرك قد جلا　　ولولاه كنا نعيد اللات والعزَّى

زماني لا أنفكّ لازمًا أرى　　هوانُ هوانا يا أخلاءنا عزّا[1]

وقد انطلق ابن المرحَّل في مدحه للنعل النبوي من احترامه وتبجيله لنبيه وتبركًا بآثاره الجليلة.

والملحوظة الجديرة بالذكر هنا هي: أن صاحبنا قد بالغ في تذلله للنعل النبوي الشريف ولثمه -كما مرَّ معنا- والسبب في ذلك راجع إلى حبه لصاحب النعل وإعظام جميع أسبابه -صلى الله عليه وسلم- وإكرام مشاهده ومعاهده وما لمسه أو عرف به.

ولا ريب أن هذا التذلّل والخضوع يعكسان صورة الإنسان المسلم في بيئة غريبة تتكالب عليه فيها الأعداء بمحاولة النيل من الإسلام والمسلمين، ولذلك فقد كان لابد من الاستمرار في التذكير بحامل لواء الإسلام وناشر رسالته، وتجسيد كل ما يمتُّ إليه بصلة أو سبب.

وقد طرقت القصائد النعالية -في شعر مالك بن المرحَّل- موضوعها بشكل مباشر دون مقدمات كما في مخمساته التي سمَّاها بالقطع المخمسة في مدح النعال المقدسة، وقال

(١) المقَّري، **أزهار الرياض**، ٣/٢٣١- ٢٣٢، والمقري، **فتح المتعال**، ص١٩٨- ١٩٩.

-رحمه الله عنها-: "والله سبحانه أسأل أن يجعلها من المقربات التي تنفع، والوسائل التي تشفع، والتمائم التي تزود كل سوء في الدارين".(١)

ولعلَّ هذه المخمسة لصاحبنا توضح ذلك:

حظيتِ أيا نعلا بأخمص مرسل قد أنزل رب العرش فيه ألم نشرَح

حللت بساطِ القدسِ حين عروجِه ليوضح في المسرى له الله ما أوضَح

حلفت: لأرض قد وطئت ترابها لكالمسك مفضوضًا أما إنه أفوَح

حبيبي الرسول المصطفي ومن أجلِه مدحتُ لنعليهِ وحقَّ بأن أمدَح(٢)

وقد أبرز الشاعر في مخمساته أكثر مقومات قصيدة المديح النبوي؛ فأغلب تلك المخمسات تفيض بالشوق والحنين لزيارة المقدسات وشفاء العليل برؤياها، ثم تمدح النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن ثم يلوذ الشاعر بكنف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طالبًا الرحمة والشفاعة، كقوله:

على وجنتي فاضَت دموعي فصرّحت بسر فؤاد بالتكتم أولعَا

عشي بدت نعل الحبيب كأنها هلال بآفاق القلوب قد اطلعا

عجبت لقلبي أن رآها ولم يطر ويخرق شغافًا قد حواه وأضلعا

عراه خيال فاستقرّ ولم يطر إليها وشيكًا حين بالأمر طولعَا

عسى من أراني نعله أو مثالها يريني ضريحًا للمكارمِ مطلعَا(٣)

ويشير الشاعر إلى ظاهرة تكررت في أكثر القصائد التي تمدح النعل النبوي، وهي أن

(١) المقّري، أزهار الرياض، ٣/٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ٣/٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ٣/٢٣٤.

النعل النبوي اكتسبت قداستها ومكانتها من أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أسرى بها ليلاً، ووطئ بها منازل الملائكة، فيقول:

أشرِف بها نعلا عمائم كلّ ذي　　شرف تقرُّ بأنَّها من ملكهَا

فلقد وعَت قدمًا سعَت في فكِّها　　من راحتي كفرانِها أو شركها

جعلت مواطئها الملائكُ عندَما　　أسرى بها ليلا مواضع نسكها (١)

وكذلك يورد صاحبنا في قصيدته فكرة التبرّك؛ فالنعل النبوية في نظر الشاعر تمنح البركة والعفو والشفاعة، ولعل الشفاعة التي يطلبها من تبركه بالنعل والرجاء الذي يبنيه – على حد قوله– عندما يتبرك بنعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تدل دلالة واضحة على مدى الإيمان العميق الذي وصل إليه شاعرنا مالك بن المرحَّل الذي اشتاق فؤاده إلى المشرق موطن الدين الحنيف، وبذلك نستطيع أن نقول: إن الشاعر أراد لقصيدته أن تكون تميمة يتبرك بها كل سلم عندما قال:

فكأنَّها صكُّ أتى عبد وقد　　تعطى الموالي أمنها في صكها

فلقد بنيتُ من الرجاءِ مبانيًا　　ردَّت فواتِك خيفتي عن فتكِهَا

وجعلتُ حبَّك يا محمد أسّها　　علمًا بأنَّ الأسَّ يُمسِكُ سمكَها

صلى عليك إلهنا ما ظلَّ أنفٌ　　ذكرك العطِرَ الشذا مستنكها(٢)

وتتجلى لنا –من خلال هذه الأبيات والنماذج السابقة – ظاهرة فريدة، وهي اهتمام مالك بن المرحَّل بهذا اللون الشعري، وكان من نتائج عناية شعراء الغرب الإسلامي بالنظم في النعاليات أن ظهرت سمات موضوع جديد هو النعاليات، ومن ثم فقد

(١) المقري، أزهار الرياض، ٢٧٧/٣.

(٢) المصدر نفسه، ٢٣٨/٣.

صار للنعاليات مميزات شكلية وفنية وخصائص فكرية ومعنوية.

فمن المميزات الشكلية ما نجده في هذه القصائد من تشابه وتماثل في إطارها العام، فهي تلجأ إلى ذكر ألفاظ معينة وتعبيرات متفقة في أغلبها، وتشبيها وصور متقاربة، وقد لا تتباين إلا في طريقة الصياغة التي تختلف من شاعر لآخر، وإذا كان الشاعر القديم قد وقف على الأطلال وبكى واستبكى، وندب الآثار وعدَّ المآثر، فإن صاحبنا -مالك بن المرحَّل - لم يشغل باله إلا النعل والمثال النبوي الشريف.

أما خصائص ذلك الشعر المعنوية؛ فإنها تتمثل في اللجوء إلى التقبيل واللثم لإطفاء شعلة الشوق، والاستعانة بتعبيرات التذلل والخضوع والبكاء وإيطاء الخدود، وذكر التشرف والشفاعة والنجاة به في الموقف وطلب الإثراء من الخيرات عند الشغف به إلى أن يصير كل هوى دون هوى النعل ضلالًا.

كما نجد في تلك القصائد مشاهد من الجنة والنار، وإيراد بعض الصور الطبيعية، ولكن الشعور باللوعة والأسى وشدة الشوق والهوى والهوان هي التي تطبع ذلك الشعر؛ لأن النعل وتمثاله طريق إلى التذكير بصاحبه، وهو باب يُطرق ليُدْخل به إلى الجنة، وبها أيضًا يُتوسل بصاحبها إلى الله سبحانه وتعالى[1].

ولعلَّه من الصعب أن نجد تفسيرًا لهيام مالك بن المرحَّل الكبير بمثال النعال النبوية، فهي ليست إلا صورة لنعل على ورق أو جلد أو نحوه، وبينها وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- فترة كبيرة من الزمن، إنها صورة نعل لنعل، يُقال: إنها نعل الرسول -صلى الله عليه وسلم-، هكذا هي في واقع الأمر، ولكنها في وجدان مالك بن المرحَّل لم تكن كذلك، فقد كان المثال وليس النعل أثرًا من آثار الرسول -صلى الله عليه وسلم-، أو ظلًا كما قال:

(١) المقَّري، **أزهار الرياض**، ٣/٢٢٥.

فألثمهُ شوقًا للنبيِّ فإنَّ من　　عدمَ الأنيسَ يخاطبُ الأطلالا (١)

وهذا البيت –فيما نرى– مفتاح لفهم النعاليات، فانعدام الأنيس دفع الشعراء إلى البحث عنه في الطلل نعالاً كان أم عمامة، وبناء على ذلك فقد كان النعل هو أقرب آثار الرسول بالنسبة للشاعر، وحبه والتسمح به تعبير عن ذلك الحب، كما قال:

جبلتُ على حبّ له فمتى بدَا　　من أثارهِ شيءٌ تثورُ لواعجِي(٢)

وقوله أيضًا:

حبيبي الرسولُ المصطفي ومن أجلِه　　مدحتُ لنعليهِ، وحقَّ بأن أمدَح(٣)

فالنعل أو صورته أثر من آثار الرسول الحبيب –صلى الله عليه وسلم–، ومهما بعُدت الشقة بين الرسول وبين مثال أو صورة نعله فإن هذه المسافة تذوب –إن جاز التعبير– بحرارة الوجد والشوق التي تتَّقد بها جوانح الشاعر، فبواسطة ذلك الحب تقرب المسافات وتحطم الحواجز، ويتم للشاعر أن يعانق حبيبه، وأن يمرغ خده في حذائه وفي قدميه الطاهرتين –صلى الله عليه وسلم–.

رابعًا: فن الحجازيات:

الحجازيات قصائد ورسائل نثرية(٤) تفيض بحب الرسول –صلى الله عليه وسلم– ويغمرها الشوق والحنين لزيارته –صلى الله عليه وسلم–، وهذا الشوق أذكاه البعد المكاني عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وزاد من تأجّجه حوادث الزمن وجراحاته التي لم

(١) المقّري، **فتح المتعال**، ص٣٠٨.

(٢) المقّري، **أزهار الرياض**، ٣/٢٣٠.

(٣) المصدر السابق، ٣/٢٣٠.

(٤) انظر ما كتبناه في بحثنا الموسوم بـ: "**التشوق إلى الديار المقدسة في الشعر الأندلسي**"،القاهرة، نشر مجلة الأندلس، سنة ٢٠١٦م.

تندمل، هذا بالإضافة إلى تكالب الأعداء على بلاد المسلمين وافتقاد النصير، وما أشبه الليلة بالبارحة حيث تكالب الغرب على بلاد المسلمين و لم نجد وليًّا ولا نصيرًا إلا المولى عز وجل.

وقد اشتهر شعراء المغرب والأندلس بهذا اللون الأدبي اشتهارًا دفع صاحب "صبح الأعشى" إلى أن يقول عند حديثه عن الحجازيات: "وأكثر الناس تعاطيا لذلك، أهل المغرب لبعد بلادهم ونزوح أقطارهم"(١).

ولا نعتقد أن نزوح الأقطار وحده هو الذي جعل شعراء المغرب والأندلس يتعاطون فن الحجازيات أكثر من غيرهم؛ لأنها تتضمن – عدا شوق أصحابها إلى الرسول وحنينهم إلى طيبة – شكاوى كثيرة من جور الجائرين، وتخاذل الأمراء والسلاطين عن نصرة المسلمين؛(٢) فقد كان بعض الملوك يضيفون إلى الهدايا الرفيعة الموجهة إلى إشراف مكة وأهل الحجاز رسائل"(٣) يهدونها لروح الرسول -صلى الله عليه وسلم- يؤكدون فيها ولاءهم وإخلاصهم للجناب النبوي، ويتضرعون إلى الله عز وجل في جل أزماتهم"(٤).

ونصوص الحجازيات في العصر الذي عاش فيه شاعرنا كثيرة؛ لكثرة دواعي النظم فيها، ولانتشارها بين عامة الأدباء والكتّاب، وكان انطلاق ركب الحج المغربي حدثًا يهيّج عواطف الشعراء فينظمون ويكتبون، وارتبطت كثير من نصوص الحجازيات بتواريخ

(١) القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت،دار الكتب العلمية،، لبنان، ط١ ١٩٨٧م، ٤٦٩/٦.

(٢) وفي **الرحلة العياشية** أنه كان بجانب الروضة الشريفة مكان تقرأ فيه الحجازيات التي يبعث بها أصحابها إلى الروضة الشريفة. انظر: أبو سالم العياشي، تحقيق د/ محمد حجي الرباط، ط٢، سنة ١٩٧٧م، ص٢٢٨.

(٣) انظر بحثنا السابق: **النثر الفني في دولة بني مرين بالمغرب والأندلس** "باب الرسائل"، رسالة ماجستير موجودة في مكتبة كلية دار العلوم.

(٤) المنوني، د/ محمد المنوني، **ركب الحاج المغربي**، المغرب، تطوان،، ط١ سنة ١٩٥٣م، ص٢٧.

محددة فنجدهم يقدّمون حجازياتهم بقولهم مثلاً: "وقلت وقد دخلت أشهر الحج"[١]، "وفي موسم عام ستة وثمانين قلت.."[٢].

وقد اشترك في كتابة هذا اللون الأدباء والأمراء وتبارى الأدباء في تطريز الحجازيات، فلا نكاد نجد شهيرًا من الشعراء والكتّاب لم يشارك برسالة نثرية أو قصيدة شعرية، ولكن ضاع معظمها بضياع الدواوين والمختارات الشعرية.

وتتميز الحجازيات بطولها الذي يسمح أو يتيح للشاعر أن يتطرّق فيها إلى موضوعات كثيرة تتَّصل كلها بالغرض أو الموضوع الأساسي، وليس في الحجازيات مجال للمديح السياسي؛ لأن القصيدة كلها تقوم على وصف ما يعانيه ناظمها ويكابده من شوق إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

ومن شواهد الحجازيات في شعر مالك بن المرحَّل قوله مستهلا إحدى حجازياته بإعلان شوقه إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيفيض في وصف أشواقه لزيارة قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويعبّر عن رغبته في أن يقتطف ثمار القرب، ويكتحل بالثرى الطاهر، ويتفيَّأ تلك الظلال الوارفة، ثم يمعن في وصف ما يكابده من أشواق، ويتوسل إلى ذلك بأساليب العشاق من المتصوفة وشعراء الغزل، فيقول:

شَوقٌ كما رُفعَت نارٌ على علَم　　تشبّ بين فروع الضَّال والسَّلم

ألفّه بضلُوعِي وهو يحرِقها　　حتى بَرانِى بريًا ليسَ بالقلَمِ

من يشترِيني بِالبشرَى ويملِكُنِي　　عبدًا إذا نظرَت عيني إِلى الحَرمِ

(١) محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة**، تحقيق د/ أحمد حدادي، المملكة (المغربية)، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، سنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ٥١/٧.

(٢) المصدر نفسه،٦٦/٧.

يا أهلَ طيبةَ طابَ العيشُ عندَكمُ		جَاورتمُ خيرَ مبعوثٍ من الأمَم
عَاينتُم جنةَ الفردوسِ عن كثَب		في مهبط الوحيِ والآياتِ والحكَمِ
لنترُكنَّ لهَا الأوطَانَ خاليةً		ونسلُكَن لها البيدَاءَ في الظلَم
ركائِبُنا تحمِلُ الأوزارَ مثقلةً		إلى محطِّ خطايا العُربِ والعَجَم
ذنوبُنا يا رسولَ اللهِ قد كثُرَت		وقد أتَيناكَ فاستغفِر لمجتَرِم[1]

ويقول:

برثْني يدُ الأشواقِ بريًا وكيفَ لا		وَمثواهُ في شرقٍ ومثوايَ في غربِ[2]

ويتمنى في إحدى حجازياته الوصول إلى قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فيقول:

تَمنيتُ والإنسانُ يولعُ بالمُنى		بلوغًا إلى المبعوثِ في خيرِ أمَّة
تمسكتُ في أمرِي بذمَّة حبِّه		وذمَّة خير الخَلقِ أكرم ذمَّة
تملَّكني في حبِّه، إنَّ حبَّه		أمَان لروحِي في المعَاد ورمَّة[3]

ومن خلال النصوص الحجازية، يتضح قصد الشاعر وهدفه من زيارة الأماكن المقدسة، يقول:

يبغِي إليه شفيعًا لا نظيرَ له		في الفضلِ والمجدِ والعَلياءِ الكَرَمِ
ذاكَ الحبيبُ الذي تُرجَى شَفاعَتَه		محمد خَيرُ خَلقِ اللهِ كلهِمِ[4]

(١) ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ٣/٣١٤-٣١٥، وانظر، **ديوان ابن المرحَّل**، ص٣٥١.

(٢) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٢.

(٤) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٥١- ٣٥٢، وابن الخطيب، الإحاطة ٣/٣١٥.

من خلال البيتين السابقين يتضح هدف الشاعر من زيارة البقاع المقدسة، والتي تتمثل في طلب الشفاعة وغفران الذنوب.

وقد فجرت حركة ركب الحاج المغربي والأندلسي أحاسيس الخيبة والذنب لدى أولئك الذين أقعدتهم صروف الدهر، ومثبطات الحياة الدنيا عن التطهّر وغفران الذنوب بزيارة أرض الرسول الحبيب الشفيع -صلى الله عليه وسلم-، فكان أن ولّد البعد المكاني والقعود عقدة الذنب عند مالك بن المرحَّل الذي لم يجد إلا الدموع فيذرفها باكيًا شاكيًا طالبًا الشفاعة، فيقول:

أمَامي الرويّ لو أبلغتني نَاقَتِي　　فلمْ تبقِنِي ظَمآن بين ظِمَاء

إمَام جَميعِ المرسَلينَ محمَّد　　وأكرمُ مبعوثٍ منَ الكُرمَاء

أمانُ الورى مِمَّا يخافونَ حبَّه　　فيا حبّ شعْشِع أدمُعِي بدمَاء

أماتَ الأسَى عيني وسَعَّرَ أضلُعِي　　فخُذْ بيدِي يا راحِمَ الرُّحَمَاءِ (١)

والشعراء إذا لم تسعفهم الظروف بزيارة قبر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فإنهم لا يألون جهدًا في دعوة القادرين على أداء هذا الواجب، وكأنهم بذلك يشفون غليلهم، ويرتوون مما أصابهم من عطش روحاني، وفي هذا يقول ابن المرحَّل :

صَديقي تجهَّز نحو قبر محمَّد　　وصيةُ خلٍّ ليسَ يألُو إذ أوصَى (٢)

ويلوم الذين لا يستطيعون مفارقة أهلهم قائلاً:

ثكلتُ من الإخوانِ من كانَ قادرًا　　على رؤيةِ القبرِ الشَّريفِ ويلبث

ثقيلٌ عليه أنْ يفارقَ أهلَه　　ولا بدَّ من هذا فحتَّى متى يمكُث (٣)

(١) مالك بن المرحَّل، **المعشرات النبوية**، ص٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وقد مزج مالك بن المرحَّل وغيره من شعراء الحجازيات والمتصوفة ذكر الأماكن المقدسة بالغزل الرمزي مثلما يمزج الشعراء ذكر الديار والوقوف على الأطلال بغزلهم وشوقهم إلى محبوباتهم، وكما يكون ذكر الديار عند الشعراء مدخلاً إلى الغزل وتذكُّر المحبوبة وعرض مشاعرهم نحوها وحنينهم إليها يكون ذكر المقدسات عند أصحاب الحجازيات مدخلا للغزل الرمزي وبث لواعج الوجد، وإظهار مشاعر الصدق والمحبة:

لولا الحِمَى وظباءٌ بالحِمَى عرب ... ما كان في البارقِ النَّجديِّ لي أَرَبُ

وفي رياضِ بيوتِ الحيِّ من إضَم ... وردٌ جنيٌّ ومن أكمَامِه النّقبُ

وبي لدى الحلَّةِ الفيحاءَ غصنُ نقَا ... يهفو فيجذبُه حقف فينجذِبُ

أعاهدُ الرَّاحَ أنِّى لا أفارِقُها ... من أجلِ أن الثَّنايا شِبهها الحَبَبُ[1]

والملحوظة الجديرة بالذكر هنا هي: أن كثافة هذا اللون الشعري وغنى معانيه، وقربه من الواقع الإيماني والاجتماعي يجعل منه لونا شعريًا يفوق أكثر ألوان الشعر العربي خصوبة وعمقًا وشفافيةً وصدقًا.

وفي حجازيات مالك بن المرحَّل يتحول النسيب إلى عشق للذات المحمدية، ويكني الشاعر عن عشقه للرسول -صلى الله عليه وسلم- بالعقيق وليلى، وتتحول الأسماء والمسميات إلى رموز يفجِّر الشاعر خلالها أشواقه ومشاعره:

خليليَّ ما قصدي العقيقُ ولا الحمَى ... ولا الغورُ من شأني ولا مطلبي نجدُ

ولا ليَ في ليلى ولبنَى لبانَة ... ولا من هوى نفسي سُليمَى ولا هندُ

ولكن قصدِي من بيثربَ لحدُه ... فبورِكَ ما ضمَّ الهدى ذلكَ اللَّحد[2]

(١) الصفدي، صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**:، تحقيق د.إحسان عباس،٥٦/٤.

(٢) النميري، ابن الحاج النميري، مذكرات ابن الحاج النميري، تحقيق الفريد بريمار، بدون تاريخ، ص١، ٢.

وقد تفتن ابن المرحَّل في تحميل النسيم أشواقه وحنيته إلى معاهد الحجاز ومشاهده – على عادة أساليب الشعراء العشاق– وجعلها تشاركه في وجده ومحبته للأماكن المقدسة، يقول الشاعر جاعلًا من النسيم مهيجًا لأشجانه، وحاملا لسلامه إلى أهل الحجاز:

أيا نسيمًا سرى من نحو أرضهم　　بالله عج بالحمى واقرأ تحياتي

واشرح لهم حالنا من بعد بُعدهم　　واحذر، وحاشاك تضييع الأمانات

هل شربة لأورام القلب مطفئة　　أو رشفة، فشفائي في ارتشافات[1]

وتنتهي القصيدة الحجازية في شعر مالك بالتوسلات، فيذرف الشاعر من الدموع ما استطاع، ويتذلل ويستسلم ويرسل التحية إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم–، والصلاة والسلام عليه، كما في قوله:

يا ركبَ مصرَ رويدًا يلتحِق بكم　　قومٌ مغاربَةٌ لحمٌ على وضَمِ

فيهمُ عُبيد تسوقُ العيسُ زفرتَه　　لم يلقَ مولاه قد ناداه في النَّسمِ

يبغي إليه شفيعًا لا نظيرَ له　　في الفضلِ والمجدِ والعلياءِ والكرمِ

ذاك الحبيبُ الذي تُرجى شفاعته　　محمدٌ خيرُ خلقِ اللهِ كلهمِ

صلى عليه إله الخلقِ ما طلعَت　　شمسٌ وما رفعت نارٌ على علمِ[2]

وكقوله في حجازية أخرى:

ويا لوعة أولعت بالقلوبِ　　ولا قلبٌ إلا بها يشتعلْ

ويا سيِّد الناسِ أنتَ الشفيعُ　　وأنت العمادُ إذا العبدُ زلْ

(١) ابن رشيد السبتي، ملء العيبة،٥١/٧.

(٢) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٥١-٣٥٢، والإحاطة، ٣١٥/٣.

وأنت الرجاءُ غداة المخافِ وأنت الأمان غداة الوجلْ

فصلى عليكَ إله السَّماءِ صلاةً مضاعفةً تتَّصِلْ

وصلى عليكَ إله السَّماءِ صلاةً مدى الدَّهر لا تنفصِلْ[1]

وتأتي "الوتريات النبوية" أو " التوشيات النبوية"- كما وصفها أحمد بن القاضي المكناسي- في مقدمة قصائد المديح النبوي لدى مالك بن المرحَّل، والتي عبر من خلالها عن عظيم حبه للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، ولا غزو في ذلك؛ فلا يؤمن المسلم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وصاحبنا لم يأمل من وترياته هذه كسبًا دنيويًا ماديًا، إن ما يريده هو الإفصاح عن مدى حبه للرسول -صلى الله عليه وسلم- لينال رضاه وشفاعته يوم القيامة.

وقد استوعب ابن المرحَّل في وترياته هذه حروف المعجم، وهي القصيدة التي عدَّها المقَّري "من غرر القصائد"، وفيها لزوم ما لايلزم من ترتيبها على حروف المعجم.

افتتح صاحبنا هذه القصيدة مصورًا خواطره ومعبرًا عن شوقه وحنينه إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولمدينته المنورة، يقول:

ألف أجلّ الأنبياءِ نبيٌّ بضيائه شمسُ النَّهارِ تضيء

وبه يؤمّل محسنٌ ومسيء فضلاً من الله العظيم عظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما[2]

ثم يتابع القول في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- ملتزمًا إيراد عواطفه ومحبته وتصلياته وفق حروف المعجم، فيأتي في حروف (الثاء والجيم والسين) على سبيل المثال لا

(١) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٣٤٩.

(٢) المقَّري، **نفح الطيب**، ٤٥٩/٧.

الحصر-بالمعاني المذكورة، كما يتحدث عن هديه واتباع سنته، فيقول:

ثاءٌ ثوى في الأرضِ منه حديث　　في كل أنف طيبهُ مبثوثُ

داع بأنواعِ الهدى مبعوث　　يتلو نجومًا أو يهز نجومًا

صلوا عليه وسلموا تسليما

جيمٌ جلا بسراجِه الوَّهاج　　ما جنَّ من ليل الظلام الدَّاجي

وسَقى القلوبَ بمائه الثجَّاج　　فأصَارها بعد الغموم غميما

صلوا عليه وسلموا تسليما[1]

وفي موضع آخر يحمل الشاعر بعض الأبيات تسليمه للرسول الكريم الذي اشتاق إليه، ولكن ظروف الحياة لم تساعده على الرحيل إليه والتمتع بالنظر إلى قبره، فيقول:

سين سلام كالنفيسِ تنفَّسا　　وقد اجتنى وردًا وصافحَ نرجِسَا

أُهدى إليه في الصباحِ وفي المسَا　　بقصائدٍ كادَت تكونُ نسيمَا

صلوا عليه وسلموا تسليما[2]

وقبل نهاية الحديث عن قصائد مالك بين المرحَّل الحجازية، نودُّ أن نلفت النظر إلى أنه كما كان في نتاج مالك بن المرحَّل الأدبي قصائد ونصوص شعرية حجازية، كانت له أيضًا العديد من الرسائل النثرية الحجازية التي توجَّه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو ما سنتعرض له في بحث مستقلّ، والتي تنم عن الشوق الشديد المتعطش لزيارة البقاع المقدسة، وتغلغل الروح الدينية المتمكِّنة في نفسه المؤمنة.

ومن خلال ما قد تقدَّم: يتبيَّن لنا أن فن الحجازيات في شعر مالك بن المرحَّل ظهر

(١) المصدر نفسه، ٤٦٠/٧.

(٢) المصدر نفسه، ٤٦٠/٧.

معبرًا عن الشوق والحنين عند شعراء المغرب والأندلس الذين لم يستطيعوا أداء فريضة الحج وزيارة تلك العرصات الطاهرة، ومعبرًا عن العشق والوجد عند المتصوفة " الذين جعلوا للأماكن المقدسة مكانًا مهما في طريقتهم"(١).

هذا بالإضافة إلى أنها – أي: الحجازيات – تشتمل على صور شتى للحِلِّ والترحال وإبداء الشوق والهيام، وذكر الحب والغرام على طريقة أهل التصوف في تواجدهم، وفي بعضها وصف للنبي –صلى الله عليه وسلم– وفضله وطلب الشفاعة والنجاة من عذاب الخزي يوم القيامة والتوسل به إلى الجنة، وفيها إسداء التحية والسلام عليه –صلى الله عليه وسلم– وفي كل ذلك تضخيم وتهويل يليقان بجلالة الموقف وقدسيته، وذلك أمر طبيعي بالنسبة لمسلم ترتبط مشاعره وشعائره الدينية بتلك الآثار التي تشكل عنصرًا من أهم أعماله في الصلاة والحج.

ولعلَّ هذا هو السبب الذي كان يدعو أولئك الشعراء للغياب عن عقلهم في الفترة التي ينشدون فيها أشعارهم؛ لينتقلوا إلى تلك الديار ليزورها بأرواحهم قبل أبدانهم، ولهذا أيضًا تجيء تلك القصائد بديعة الصور والمعاني والأسلوب، وبالرغم من طولها وإسهابها فإنها تأتي سائغة مقبولة لا يُملُّ من قراءتها أو إعادتها.

وإذا كان التشوق للمعاهد الحجازية نابعًا من قدسيتها، وهذه القداسة تعود فيما تعود إلى شهودها ولادة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وبعثه ودفنه فيها، فإن ذكر الأماكن المقدسة يفترق عن المديح النبوي، لأن قصائده لم تنشأ في الأصل لمدح النبي الأمين –صلى الله عليه وسلم–، وإن ورد ذكره في بعضها كما سبق أن رأينا.

ويلتقي فن التشوق للأماكن المقدسة مع المديح أحيانًا، عند ذكره للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم–، وحين يُقدَّم لقصائد المديح النبوي، فهذا الفن له علاقة بالمديح

(١) سالم، د. محمود سالم محمد، **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، بيروت، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط١ سنة ١٩٩٦م، ص١٨٤.

النبوي، ولكنه لا يعدُّ مدحًا نبويا خالصًا، ذلك الفن الذي تقاطع مع فنون أخرى وافترق عنها.

خامسًا: سمات لغة الشعر النبوي عند مالك بن المرحَّل:

إن القارئ لشعر مالك بن المرحَّل والمتابع لمفردات معجمه الشعري سوف يلمس مدى ازدواجية المستوى، فلغته تحمل في طياتها وبين ثناياها السهولة والغرابة التي تنبع من انتماء اللفظة للتراث العربي القديم.

أما من حيث السهولة والوضوح: فقد كان الشعر على ألسنة المغاربة والأندلسيين "فنًّا جماهيريًا أميل إلى الوضوح والواقع منه إلى الغموض والتجريد.." [(١)] واستجابة لداعي بيئة جميلة كل ما فيها يدعو إلى الرقة والسلاسة، وقديما قال أرسطو: "إن كمال الأسلوب أن يكون واضحًا دون إسفاف"[(٢)].

وأما احتفاء معجم صاحبنا الشعري بالمفردات والتراكيب التراثية فله دوافع قوية منها:

طبيعة الصراع الذي شهدته بلدان المغرب والأندلس، فإذا كان "الشعر لا يفنى إلا إذا فَنيَت بواعثه"[(٣)]، وإذا كانت "قيمة الأدب الكبرى إنما تقاس بمقدار اتصاله بالنبع من وراء الحواجز والسدود " [(٤)]، وإذا كان من طبائع الأمم أنها في فترات يقظتها تلوذ بأكناف ماضيها المجيد، وتعيش نشوة ذكرياتها الغابرة، فإنها أيضًا تكون أشد حرصا على أن تبقى مشدودة الجذور بماضيها، متمسكة بأمشاجه إذا ما تعرضت لأحداث دامية تهزُّ كيانها

(١) كرم، أنطون كرم، **الرمز والرمزية في الأدب العربي الحديث:** بيروت، دار الكشاف، سنة ١٩٤٩، ص١١١.

(٢) إسماعيل، د عز الدين إسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، القاهرة، **دار الفكر العربي**، سنة ١٩٦٨م، ص٢٩٢.

(٣) التونسي، محمد خليفة التونسي، **فصول من النقد عند العقاد**، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، ص١٦٠.

(٤) قطب، سيد قطب، **النقد الأدبي** (**أصوله واتجاهاته**) القاهرة، دار الشرق،، ط٥، سنة ١٩٧٣م، ص٩٧

وتهددها بالزوال.

هذا إلى جانب تلك الثقافة التراثية العميقة التي كان يتسلح بها مالك بن المرحَّل، ومن الطبيعي، بل من الحتمي أن تأتى مفردات معجمه الشعري ذات ألوان من المفردات على هيئات مختلفة وبدرجات متفاوتة في الحضور، وبذلك جاءت ألفاظ الشعر في نتاج مالك بن المرحَّل سهلة واضحة لا تحوج القارئ إلى معاناة التأمل ومراجعة المعاجم.

بينما جنح صاحبنا في بعض نصوصه الشعرية إلى اللغة الغريبة، وفيما يلي تفصيل ذلك.

أ- الرقة والسهولة:

فمن أمثلة اللغة السهلة الواضحة في فنون ابن المرحَّل النبوية، قوله في إحدى قصائد المديح -التي افتتحها بالغزل- مصورًا تشوقه وحنينه إلى قبر الرسول:

ربّ ربع وقفت فيه وعهد ... لم أجاوزه، والركائب تسري

أسأل الدار وهي قفر خلاءٌ ... عن حبيب قد حلّها منذ دهر

حيث لا مسعد على الوجد إلا ... عين حرٍّ تجود أو ساق حرِّ(١)

وقوله أيضًا:

لولا النبوة ضل الورى ... ومن لم ير النجم بالليل ضل

وأحمد أحمد آت أتى ... بخير وخير خيار الرسل

هو المرتضى وهو المجتبى ... هو المصطفي وهو المنتخل

فأعظم بمثله في الملل ... وأكرم بدولته في الدول

(١) مالك بن المرحَّل: **ديوانه** ص٣٠٥- ٣٠٦.

لقد كان مولده رحمة　　سقينا بها كل وبل وطل

لقد كان مولده رحمة　　أقمنا بها بين نهر وظل[١]

وقوله أيضًا في الدعوة إلى الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف والعناية به:

فحق لنا أن تعتني بولادة　　ونجعل ذاك اليوم خير المواسم

وأن نصل الأرحام فيه تقربا　　ونغدوا له من مفطرين وصائم

ونترك فيه الشغل إلا بطاعة　　وما ليس فيه من ملام للائم[٢]

ومما تنبغي الإشارة إليه هو أن اللغة الواضحة السهلة في شعر مالك بن المرحَّل لم تتوفر في المدائح النبوية فحسب، بل نجدها تمتدُّ لتشمل الشعر المعرفي والتعليمي في نتاجه، فقد نظم ابن المرحَّل كتاب الفصيح لثعلب بهذه اللغة الواضحة السهلة التي تكشف عن أدق دقائق اللغة في أسلوب جليٍّ واضح، ومن أبياتها قوله:

حمدُ الإله واجب لذاتِه　　وشُكره على علا هباتِه

نحمده سبحانه ونشكُره　　ومن ذنوب سلفَت نستغفرُه

ثم نوالي أفضلَ الصَّلاة　　على الرسول الطَّاهر الصِّفات

محمد ذي الكلمِ الفصيح　　والفضلِ والتقديسِ والتسبيح[٣]

ثم خلص الشاعر بعد هذا المطلع إلى بيان الغرض من هذا النظم، فقال:

وبعدُ هذا فجرى في خَاطري　　من غير ندبِ نادبٍ أو آمر

---

(١) مالك بن المرحَّل: **ديوانه** ص٣٤٥.

(٢) عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ٢٣/٨.

(٣) مالك بن المرحَّل: **ديوانه**، ص٤١٧، ٤١٨.

أن أنظمَ الفصيحَ في سلوك من رجز مهذَّب مسبُوك

وبعض ما لابدَّ من تفسيره وشرحِه والقول في تقدِيره[1]

وبعد أن أوضح الشاعر منهجه في النظم، شرع في عرض الحقائق والدقائق اللغوية التي أثبتها ثعلب متتبعا فصولها فصلًا فصلًا، ومادة مادة في لغة سهلة واضحة دون إخلال أو تقصير.

ويقول الأستاذ عبد الله كنون معقبًا على بعض أبيات هذه الموطأة: "وهكذا يمضي مسترسل النفس، ناظمًا زهاء ١٣٠٠ بيت، فلا ينقطع ولا ينبهر، ويكون نظمه مع ذلك إنما هو خاطر يخطر (من غير ندب نادب أو آمر) فما أحسن الصدق وعدم التكلف"[2].

ب- الصعوبة والإغراب:

لعلَّ من أسباب لجوء مالك بن المرحَّل إلى هذا الإغراب والتقعير في استخدام الألفاظ الحوشية، واللغة غير السهلة هو إظهار سعة تحصيله الواسع من كلام العرب، والتعبير عن خصوبة حفظه للموروث اللغوي، والتحدي لكبار الشعراء في المشرق والأندلس في أغراضهم الشعرية وفنونهم النثرية ورسائلهم الزاخرة بالجزالة والإغراب.

ومن أمثلة الإغراب في فنون المديح النبوي لدى مالك بن المرحَّل في إحدى نعالياته، قوله:

أدمعكَ أم سمط وقلبكَ أم قرط وشوقكَ أم سقط وجسمكَ أم خط

أخافرة بعد التروع على الصّبا وللشيب رشق في عذراك أم وخط

رأيت مثالاً لو رأته لرؤيتِي نجومُ الدّجى والليل أسود مشمط

(١) المصدر نفسه، ص٤١٨.

(٢) عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ١٩٢/١.

أرى لثمُة مثل التيمّمِ مجزيًا　　فألثمُه حتى أقول سينغط

قذفت الكرى في الدَّمع والصَّبر في الأسى　　وهيهات أن يطفى وموقِدُه الشَّجط[١]

ومن ذلك لجوئه إلى مذهب التصنع في صياغة بعض مدائحه النبوية وأخذه- كبعض شعراء عصره- بفنّ "الإعنات" أو "لزوم مالا يلزم"، كقوله في معشراته اللزومية في حرف الثاء بالتزام الميم ثانيًا، والهمزة المكسورة قبل الروي، يقول :

ثمالُ الورى ذلك النبيّ فإنَّه　　سريعُ إذا نادَوا به غير رائث

ثمامةَ جسمي أرتجِي أن يغيثَها　　إلهي بقربٍ منه للشَّوق غائِث

ثماد اصطِباري شَفَّها حرَّ أضلُعي　　ولوعاتُ أشواقٍ إليه حثائث[٢]

وقوله في حرف الظاء بالتزام اللام ثانيًا والهمزة المكسورة قبل الروي:

ظلالُ الأماني والأمانُ تفيَّأت　　بأحمدَ خير الخلقِ والكلّ قائِظ

ظلام ظلامات العباد بنوره　　تجلت وزالت بالإخاء الحفائظ

ظللنا به بعد الضلالة في الهدى　　وحيَّت به تلك النفوس الفوائظ

ظلوم العدى مثل الظليم تشردا　　وفعلاته السوأى جواف وشائظ [٣]

ومن خلال هذه النماذج يتبين اضطرار ابن المرحَّل-بداعي الوفاء لمذهب الإعنات- إلى جلب العديد من الكلمات غير السهلة في هذه المعشرات، مثل:

الحفائظ، والقوائظ، والوشائظ وغيرها مما نراه في هذه المعشرات اللزومية من بقية الحروف الأخرى.

(١) مالك ابن المرحَّل: **ديوانه** ص٣٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦٨.

ولم يقتصر صاحبنا على جلب هذه الألفاظ الغريبة وأمثالها في المعشرات فحسب، بل اضطر إلى استعمال أكثر منها وأغرب في العشرينيات النبوية اللزومية التي سماها "**الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة**"، والتي استخدم في سياقها ألفاظًا غامضة، تُحوج الباحث أو القارئ إلى الرجوع إلى مظانِّها من كتب اللغة، كقوله في حرف الخاء:

خذوا سيَر المختارِ منظومةُ الحلى تطيبُ بها أمداحها وتضمخ

خلوقٌ خليقٌ أن يخصَّ بسيِّد به الدَّهر يبني والخليقة تشمخ

خَبا كلّ نور حين لاحَ لنورِه وأصبح بغي الكفرَ وهو مدوّخ

خذت ناقةُ المختارِ مأمورةً به لدارِ أبي أيوبَ ما إن تنوخّ (١)

أو قوله اتِّباعًا للإعنات الجالب للغموض في حرف الصاد يصور غزوة بني لحيان وذي قرة في النص المذكور"

صبوٌر على طولِ الجهادِ محافظ على البرِّ والتقوى جليد على الخمْص

صدوق بني لحيان أوجبَ غزوَهم وصلب خبيث فوق جدع على دَعص

صوافنه عنَّت له فتمنعُوا فعادَ وقد راغ القنيصُ على الشِص (٢)

والذي يمكن الحكم به على البنية اللغوية لفنون المديح النبوي لدى مالك بن المرحَّل على وجه الإجمال – إذا استثنينا أمثال هذه النصوص التي أملتها رغبته في التدليل على وفرة تحصيله من اللغة أو كلام العرب، أو فرضها مذهب الإعنات أو لزومه ما لا يلزم الذي عدَّ في عصر التصنيع الأدبي مظهرًا من مظاهر الشاعرية الكاملة – هو أن لغته تتَّسم في الغالب الأعم بالسهولة والتلقائية، وبالبعد عن التكلف والتصنع على حسب ما عرضنا من أمثلة متعددة فيما سبق.

(١) المصدر نفسه، ص٣٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٠٢.

الخاتمـــــــة

حاول الباحث في هذه الدراسة إلقاء الضوء على فنون المديح النبوي في شعر مالـــك بن المرحل.

ففي المولديات جمع الشاعر مالك بن المرحل بين مدح الرسول الكريم –صـــلى الله عليه وسلم– وبين مدح السلطان في عصره، والجمع بين مدح الرسول –صلى الله عليـــه وسلم– ومدح السلطان لم يرد في شيء من نصوص الشعر العربي، وهو شـــائع جـــدًّا في مولديات صاحبنا.

وقد كان المديح السياسي في القصيدة المولدية استمرارًا للمديح النبوي، وأشواق الشاعر وتلُّهفه ومكابدته في سبيل حبه للنبي –صلى الله عليه وسلم– هو حلقة الوصل التي تربط بـــين عناصر القصيدة المولدية الثلاثة، ابتداءً من المطلع الذي تظهر فيه صورة الهجر والفراق وشـــدة الوجد، ومرورًا بمدح الرسول –صلى الله عليه وسلم– موضوع ذلك الحب، ثم الانتهاء بمدح السلطان المتفاني في حب الرسول –صلى الله عليه وسلم– والحريص كل الحرص على إقامـــة احتفالات ذكرى مولده –صلى الله عليه وسلم– في كل عام.

ولما كان فن المولديات قد نما وازدهر في عصر اضطرابات خارجية وداخلية وفـــتن ونزاعات، فقد كان مالك بن المرحل يجد في تلك المولديات وفي المدائح النبوية بصفة عامة مُتَنَفَّسًا يلْجَأ من خلاله إلى الله وإلى رسوله –صلى الله عليه وسلم– طلبًا للشفاعة والعون، وتأكيدًا على الارتباط الوثيق بين السياسة والدين والشعر، وقد جسَّدَتِ القصيدة المولدية هذه الظاهرة من خلال اختتامها بمدح السلطان في ذلك الوقت.

ومما تجدر الإشارة إليه هو: أنه من خلال تتبعنا لنصوص المولديات، وجدنا أن مالك بن المرحل لم يورد من عشرات معجزات الرسول –صـــلى الله عليـــه وســـلم– ســـوى المعجزات الصحيحة التي أجمعت الروايات على صحِّتها، أو التي لهـــا ظـــلال في القـــرآن الكريم، مثل: معجزة الإسراء والمعراج وانشقاق القمر وقصة الغار، والقرآن الكريم.

وأثناء وقوفنا على مولديات ابن المرحل لمسنا عدة جوانب أهمها: أنها أشهر قصائد المديح النبوي في الأندلس والمغرب وأكثرها ذيوعًا وانتشارًا؛ لارتباطها بالمولد النبوي الشريف،هذا بالإضافة إلى أنها كانت تلقى بين يدي السلطان وأمام جميع الناس.

وجاء فن الحجازيات معبِّرًا عن الشوق والحنين عند مالك بن المرحل الذي لم يستطع أداء فريضة الحج وزيارة تلك المعاهد الطاهرة.

وقد رأينا قصائده الحجازية تمتاز بالصدق وذكر الكثير من المشاعر الكريمة ووصفها وصفًا دقيقًا، هذا بالإضافة إلى اشتمالها على صورٍ شتى للحلِّ والتِّرحال وإبداء الشوق والهيام، وذكر الحب والغرام على طريقة أهل التصوف، وفي بعضها وصف للنبي -صلى الله عليه وسلم- وفضله.

كذلك وجدنا أن فن الحجازيات يلتقي مع المدائح النبوية ـــــ أحيانًا ـــــ عند ذِكر الشاعر للرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- في ثنايا القصيدة الحجازية، وحين يُقدَّم لقصائد المديح النبوي به، فهذا الفن ـــــ الذي تقاطع مع فنون أخرى وافترق عنها ـــــ له علاقة بالمديح النبوي ولكنه لا يُعدُّ مدحًا نبويًا خالصًا؛ لأن قصائده لم تُنشأ في الأصل لمدح النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم-.

وفي نعاليات ابن المرحل شوقٌ وحنين وبكاءٌ وأنين، وتمسح بآثار النبي المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وتعلّق بطلل غير دارس، وتقبيل لنعاله ولمثالها.

وقد وجدنا في تلك القصائد النعالية مشاهد من الجنة والنار وبعض الصور الطبيعية، ولكن الشعور باللوعة والأسى وشدة الشوق والهوى والهوان هي التي تطبع ذلك الشعر.

المصادر والمراجع

ـ **القرآن الكريم.**

ـــــ **ابن الخطيب**، لسان الدين بن الخطيب، (**سنة ١٩٦٣م**)، **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.

ـــــ **ابن تاويت**، الدكتور محمد بن تاويت، (سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، **الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى**، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، نشر دار الثقافة المغربية.

ـــــ **ابن تاويت، عفيفي**، لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي، (سنة ١٩٦٠م)، **الأدب المغربي**، الطبعة الأولى، بيروت، نشر مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.

ـــــ **ابن رشيد السبتي**، محمد بن عمر بن محمد، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق: الدكتور أحمد حدَّادي، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

ـــــ **ابن شريفة**، الدكتور/ محمد بن شريفة، (سنة ١٩٩٦م)، **تراجم مغربية من مصادر مشرقية**، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة.

ـــــ **الجراري**، الدكتور عباس الجراري، (سنة ١٩٧٩م) **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، المغرب، مكتبة المعارف.

ـــــ **الخطيب**، ابن مرزوق الخطيب، (سنة ١٩٨١م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيَّاد، الجزائر، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ـــــ **الشكعة**، الدكتور مصطفى الشكعة، (سنة ١٩٨٦م)، **الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)**، بيروت، دار العلم للملايين.

ـــــ العياشي، أبو سالم العياشي، (سنة ١٩٧٧م)، **الرحلة العياشية**، تحقيق الدكتور: محمد حجي، الرباط.

ـــــ **الفاسي**، علي بن أبي زرع الفاسي، (سنة ١٩٧٢م)، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** ، طبع دار المنصور، الرباط.

ـــــ **الفاسي**، علي بن أبي زرع الفاسي، (سنة ١٩٧٣م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب منصور، المغرب دار المنصور للطباعة.

ـــــ القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون (سنة ١٩٨٤م)، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: علي البجاوي الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

ـــــ **القلقشندي**، أبو العباس القلقشندي (سنة ١٩٨٧م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

ـــــ **الكتاني**، محمد بن جعفر الكتاني (سنة ٢٠٠٤م)، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء.

ـــــ **المقري**، أبو العباس المقري، (سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، **مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لم يسبق نشرها**، تخريج وتحقيق وتقديم الدكتور: إبراهيم مراد، الطبعة الأولى،، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

ـــــ **المقري**، أحمد بن محمد المَقَّري التلمسَانِي، (سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، طبع دار صادر.

ـــــ **المقري**، أحمد بن محمد المقري، (سنة ١٣٣٤هـ)، **فتح المتعال في مدح النعال**، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية.

ـــــ **المقري**، أحمد بن محمد المقري،،(سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق مجموعة من المحققين، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، المغرب،. وانظر أيضًا أزهار الرياض(سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

ـــــ **المكناسي**، أحمد بن القاضي المكناسي، (سنة ١٩٧٣م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس**،الرباط، دار المنصور.

ـــــ **جبران**، الدكتور محمد مسعود جبران، (سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، **مالك بن المرحل أديب العدوتين**، الطبعة الثانية، الإمارات العربية المتحدة أبو ظبي، المجمع الثقافي.

ـــــ **جبران**، الدكتور محمد مسعود جبران،(٢٠٠٩م)، **أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي**، الطبعة الأولى، بيروت، دار المدار الإسلامي.

ـــــ **سالم**، الدكتور محمود سالم، (سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، **المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي**، الطبعة الأولى بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر.

ـــــ **كنون**، الأستاذ عبد الله كنون، (سنة ١٩١٦م)، **موسوعة مشاهير رجال المغرب**، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة.

ـــــ **كنون**، الأستاذ عبد الله كنون، (سنة ١٩٦١م)، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة.

ـــــ **محمد بن عبد الله**، لسان الدين بن الخطيب، (١٩٨٨م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة** (نصوص جديدة لم تنشر)، تحقيق الدكتور: عبد السلام شَقُّور، طبع مؤسسة الطباعة والنشر والتوزيع، طنجة، المغرب.

ـــــ **محمد بن عبد الله**، لسان الدين بن الخطيب، (سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق: محمد عبد الله عِنَان، الطبعة الثانية،القاهرة، نشر مكتبة الخانجي والشركة المصرية للطباعة والنشر.

ـــــ **مكي**، الدكتور الطاهر أحمد مكي، (سنة ١٩٨٠م)، **دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة**، القاهرة، دار المعارف.

ـــــ **مكي**، الدكتور محمود علي مكي، (سنة ١٩٩٠م)، **المدائح النبوية**، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)